

## الذهاب من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة وبيان ذلك

أمر حسين باشا قائد القافلة بالمدافع ؛ فأطلقت ، إعلاناً بالتحرك . وبعد أن أدى جميع الحجاج زيارة الوداع خرجت القافلة من المدينة ، ميممة وجهها شطر المسجد الحرام .. نحو مكة المكرمة . وسارت القافلة ساعتين نحو الجنوب حتى وصلنا إلى أبار على .

### أبار سيلفا على :

مكان مسطح واسع ، بالقرب من أودية كبيرة ، وقد قام سيدنا على ، كرم الله وجهه بحفر بئر واسع عذب المياه ، وأصبح وكأنه بستان ، يُستخرج منه الماء ، بالدواليب والسواقي ، وحوله أحواض كبيرة يشرب منها الحجيج ويسقون دوابهم ، ويغتسلون في مياهها ، ويُحرمون اعتباراً من هذا الموقع . وداخل بساتين النخيل ، مكان جميل للتنزه ، والترويح عن النفس . وحول تلك الآبار المتناثرة ، وفي جميع نواحيها أقام أهل المدينة مزارعهم . وفي كل عام ، وخلال موسم الحج ، يُقيم الأهالي حولها سوقاً كبيراً ، يبيعون فيه للحجيج منتجاتهم ، ويتكسب فقراء المدينة ، من تعليم الحجاج شروط الإحرام ، وكيفيته .

ودعاء العمرة على النحو التالي :

( لبيك اللهم عمره .. فيسرها لى .. ) .

وهكذا يكون الإحرام ، ولبس الحرير محرم ، وعلى الحاج ، أو المعتمر ، ألا يلبس ثياباً مخيطة أو مطرزة . ويرى بعض الأئمة ؛ أنه من الممكن ، والجائز للفرد ؛ أن يحمل سلاحاً في ذلك الوقت ، بينما يرى البعض ، الآخر ، أن حمل السلاح ممنوع ، حيث أن الفسق ، والقتل ، وإثارة الشغب ممنوع ، ومحرم في أشهر الحج .. وعلى الحاج ألا يرتدى الملابس حتى ينحر الذبائح في منى .. وإن ارتدى ملابسه فعليه أن يذبح أضحية . وعلى من أراد الحج ينوي بالدعاء التالي :

( اللهم إني نويت أداء الحج ، فيسره لي ، واقبله مني .. )

ويوجد في مكان أبار على هذا ، مسجد علي كرم الله وجهه ، وله ثنتا عشرة قبة .

ويؤدّي فيه الحجاج ركعتين سنة الإحرام ، والمسجد مفروش من الداخل بالرمل ، وفي هذه المنطقة؛ يرتدى الجميع ملابس الإحرام البيضاء ، وتعلو أصواتهم بالتلبية « لبيك اللهم لبيك » ، وتعج الجبال ، والوديان بأناس وقد تذرّوا ، في ملابس إحرامهم البيضاء ، وتصيح تلك الجبال والوديان بتلبياتهم .

أدينا في نفس الموقع صلاة العشاء ، وأشعلنا المشاعل ، ثم بدأنا نسلك طرقاً ، أكثر تعبيداً ، مارين من داخل القرى التابعة للمدينة . وبعد آبار على هذه ، تبدأ حدود مكة ، وقد مررنا بقرى ذات حدائق وبساتين ، وإستمرت مسيرتنا تنثا عشرة ساعة حتى وصلنا إلى :

### منزل مقابر الشهداء؛

في هذا المكان كانت قد وقعت حرب ضروس بين المسلمين وكفار مكة في عهد النبي ﷺ ، واستشهد فيها أكثر من ألف من الصحابة الكرام .. تنتشر في المكان النباتات الشوكية .. وقد مكثنا فيه بعض الوقت حيث أحضر البدو ما في حوزتهم مما يأكل ، أو يُشرب ؛ لكي يبيعونه للحجيج .

عند السحر ، بدأنا المسير حتى وصلنا إلى « حوض ابن مسعود » الذي كان خاويًا تمامًا من المياه ، ثم مررنا ببركة شيخ الحرم وسبيله . وفي وسط منطقة صخرية ملساء ، توجد قاعة صغيرة تُسمى « مصطبة الغزال » . حيث قد مر الرسول ( ﷺ ) ، بهذه المنطقة ، فرأى صيادين ، وقد هموا بذبح غزال ليأكلوه ؛ فانطق الله سبحانه وتعالى الغزال وقال :

« .. يارسول الله ، لا بد أنهم سيأكلونني ، ولي صغار ينتظرونني ، ولا بد أنهم يتضورون جوعاً ، وسيموتون إذا لم أعد ، فلاذهب إليهم ، وأشبعهم ، ثم أعود إلى هنا مرة أخرى ، وليذبحونني عندئذ ويأكلونني » .. فيقول المصطفى ﷺ للصيادين .. « اتركوا هذا الغزال ليرضع صغاره ، وأنا كفيل بعودته ، فإذا لم يعد إذبحونني أنا . بدلاً منه .. » وما أن سمع الصيادون الكفرة ذلك حتى أطلقوا سراح الغزال قائلين ، لنر كيف تكون النهاية .

يصل الغزال إلى صغاره . فيرضعهم حتى الشبع ثم يقول لهم .. [ .. يا أولادي إن

سيد العالمين محمداً ﷺ حبيب من أجلى ، فلاخلصه من الكفالة ، ولا يجب أن أحنث فى عهدى .. فلياكلنى الصيادون ..] وينطلق الغزال ، بعد ذلك وما أن رآوه الكفار ، حتى أسلموا جميعاً فى لحظة واحدة .

لهذا ، أطلق الأهالى على هذا المكان اسم «مصطبة الغزال» . صلينا ركعتين فى هذا المكان أيضاً ، ثم مضينا ثلاث عشرة ساعة ، من مقابر الشهداء حتى وصلنا إلى

### منزل الـ «جليله»:

هضبة صغيرة محصورة بين جبلين ، قصبة بها ستمائة حديقة من النخيل والأعناب ، خاضعة لحكم الشريف ، بها وادى ، وقد قام بتعميرها رضوان بك ، أمير الحج المصرى ، وفى هذا الوادى سبعة أنواع من أشجار النخيل ، منازلها متينة البناء . به العديد من الورود والمراعى ، وبهذا المكان مياه كثيرة ، أهلها أغنياء جداً . ويوجد جامع صغير لرضوان بك ، وله حمام عام ، كما يوجد سوق صغير ، وأمام الجامع عين ماء يسمونها [عين الزرقا] ، وتكثر العيون بهذه المنطقة ، كما أن بها عيون ساخنة المياه ، تبرد عندما يصبح الجو رطباً ، وتصير كالثلج ، وفى سوقها تقوم السيدات العربيات بالبيع والشراء ، وهن راضيات مبتسمات ، أغلبهن مليحات . وفى شرق ذلك المكان ، وبين الصخور يوجد مزار الشيخ سعد الدين الرومى (١) . وعلى بُعد ألف خطوة من هذا الوادى توجد قرية عربية بها أربعون أو خمسون منزلاً ، كما أن بها حوض والدة السلطان مراد الرابع وبهذا المكان أيضاً مزار الشيخ صالح . وقد أطلق الرسول ﷺ على هذا المكان إسم «وادى نخل حنين» .

قضينا وقت الظهر فى موقع الـ «جديده» هذا ، ثم ذهبنا بين الحدائق ، والبساتين ، وأحياناً ؛ بين وديان من الصخور ، متجهين نحو المشرق ، وأحياناً ، نحو المغرب ، بشكل متعرج ، حتى إقترنا من «بدر حنين» وكان بالقرب من الطريق . «جبل صاجمان» :

(١) الشيخ سعد الدين الرومى ؟

هل هو سعد الدين أفندى زاده الذى تولى مشيخة الإسلام مرتين فى عصر كل من السلطان محمد الثالث والسلطان أحمد الأول . وابن الشيخ سعد الدين خواجه أفندى شيخ الإسلام ؛ الذى كان مدرساً فى بروسه عندما ولد إبنه سعد الدين هذا .. وبعد أن اتم دراسته وتحصيل العلوم ، عين مولانا على مكة المكرمة سنة ١٠٠٠ هـ = ١٥٩١ م ؟ (الترجم)

وهو جبل مرتفع قرمزي أي أحمر اللون ، وعندما كان النبي ﷺ متوجهاً إلى غزوة الحديبية ، توقف في هذا المكان ، ثم صعد إلى ذلك الجبل ، وتوجه إلى الله ، بالدعاء لنصرة جند الإسلام . ويكثر معدن الزمرد بهذا الجبل . فتح النبي ﷺ هذه الديار ، وأرسل الرسل برسائل الفتح إلى حكام المناطق المتاخمة ومنهم « يرويز » شاه العجم ، وقد دعاهم جميعاً إلى الإسلام ، وفي الجانب الغربي من هذا الجبل يوجد جبل عرج .

ثم مررنا بعد ذلك بكثير من القرى ، التي تمر بها مياه عين الزرقاء ، وتكثر فيها الحدائق ، والبساتين الغناء . فحيثما كان يذهب الرسول ، أو يمضي كانت مياه عين الزرقاء هذه تسيل ، وتمضي إلى ذلك المكان ، من تحت سطح الأرض ، وأينما طلبها الرسول ، كانت تخرج المياه إلى وجه الأرض . « والله على كل شيء قدير » .

### قرية صاجمان:

قرية بها ثلاثمائة منزل ، بها حدائق ، وبساتين ، وجامع ، وحمام عام ، ومياهها من عين الزرقاء ، تباع النساء فيها ما يملكون من فواكه ، أو تمر ، يستأجر فيها الحجاج ما يلزمهم من الجمال ، ويبيع أطفالها الخبز الأبيض ، والرقاق المعجون بالزبد ، أو العسل . وما أن تبعد عن الجديده مسيرة ثمان عشرة ساعة حتى تصل إلى قلعة بدر .

### وصف قلعة بدر:

فتحها النبي ﷺ بنفسه في السنة الثانية للهجرة ، حيث قُتل أبي جهل ، ومعه سبعين رجلاً ، من رجاله ، كما أسر كعب بن عمر سبعين مكيًا ، وأحضرهم مكبلين في الأغلال إلى مجلس النبي ، فأسلموا جميعاً ، وألبس الرسول الأكرم عمامته السوداء لحضرة العباس ، وما أن وضعها ﷺ على رأس العباس حتى قال الصحابة الكرام « لتكن مباركة للعباس » ، مجمل القول أن أبا جهل رأس الكفرة المشركين ، قد قتل ومعه سبعين نفرًا من رجاله وقتل سبعة آلاف كافر؟! وأسلم ألف نفر ، وقد غضب أبو لهب عندما سمع ذلك في مكة . وبينما كانت زوجته تحضر الخشب

والحطب إلى منزله ، جلست على صخرة لتلتقط أنفاسها ، وظنت أنها قد وضعت الحطب على الصخرة ، ولكن الحطب يسقط خلف الصخرة ، فيلتف الحبل المربوط به الحطب حول رقبتها ، فتخنق ، وتلفظ أنفاسها ، وهكذا أهلكت زوجة أبا لهب الذي نزلت في حقهما سورة ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۚ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۚ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۚ (٣) وَأَمْرَاتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۚ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۚ (٥) ﴾ (\*) وتحت رجاء ، وطلب الصحابة الكرام ، هُدِّمَت القلعة لما عانوه من صعاب ، ومتاعب جامعة في الفتح .

وفي جنوب هذا الموقع ، تُقام العبادة في المحراب ، والصفقة التي أقام الرسول الكريم خيمته بها . ونحو القبلة من هذا الموقع ، وعلى بُعد خمسمائة خطوة ، وعلى جبلٍ ، وعمرٍ ، منحدرٍ ، يقع غار النبي .

### غار النبي:

دخل الرسول الكريم هذا الغار ، وأخذ يدعو بالنصر المظفر لصحابته الميامين . وقد دُفِنَ بهذه المغارة كل مَنْ نال الشهادة ، وحظي بالإستشهاد في معركة بدر من الصحابة . قام الرسول الأكرم ، بثمانية وعشرين غزوة ، وكانت غزوة بدر تلك ، وغزوة أحد ، هما أكبر هذه الغزوات جميعاً .

وجنوب بدر حنين ، يوجد بئر بلا ماء ، وقد أُلقيت فيه جثث الكفرة الفجرة الذين ماتوا في هذه الحرب ، وكان ذلك بأمر الرسول الأكرم . وظلت جثة أبي جهل النتنة في هذا البئر السحيق . ولا يُطاق الوصول إليه لما ينبعث منه من رائحة كريهة . ويقال أن أنيناً يصدر منه دائماً ، ولكنني أنا العبد الحقير مررت من جانب هذا البئر ، ولم أسمع الأصوات .

### وصف بئر حنين:

أطراف هذه المدينة الأربع صخور حمراء . خاضعة لقائمقامية<sup>(١)</sup> الشريف علي

(\*) سورة المسد ، مكة .

(١) قائمقامية الشريف ؛ قائم مقام ؛ معتمد او وزير او مسعود محل محل الصدر الاعظم او الوزير او الوالي في الإدارة ، وكان هناك ديوان للقائمقامية وقائمقام في الأستانه لإدارة الامور السياسية والإدارية . كما كان القائمقام يتولى =

مسافة من شاطئ البحر الأحمر مسيرة ما يقرب من خمس ساعات . بها نائب لموللا مكة<sup>(١)</sup> ، وأربعمائة بيت عربي ، وجامع من اللبن المتين البناء ، تتدفق مياه عين الزرقاء في فناءه ، وبالقرب منه حوض كبير ، وناحية القبلة يوجد أيضاً مسجد ذوقبة . وبها حمامٌ عام ، ومثتا دكان . وفي هذه المدينة يلتقى طريق الحج المصرى<sup>(٢)</sup> بطريق الحج الشامى ويحتفل حجاج مصر ، بغزوة بدر ، فى هذا المكان حيث يشعلون المصابيح والمشاعل ، ويطلقون الفشك « الأعيةر النارية » . ولما كانت

---

= الشعورن الإدارية وأمور الأوقاف . وفى التقسيمات الإدارية كانت السناجق ، والقصبات تُقسم إلى قائمقاميات لتسهيل أعمال الإدارة ، واستتباب الأمن ، واحلال الربط والضبط . ومن هنا كانت قائمقامية الشريف فى مكة لمعاونة الوالى ، والسلاطان فى تنظيم أمور الحج وإدارة الحجاز . ( المترجم )

(١) موللامكة : مثلاً ؛ لقب علمي كان يُطلق على من يحوز على رتبة واختصاصات المولوية = المشيخة . ثم اخذ يُطلق على المتعلمين من أبناء الأصلاء والنجباء ، وأصحاب المراكز الإجتماعية الرفيعة . ثم انحصر فيما بعد على العلماء والمشايع فقط . كما كان يُطلق على كبار المعلمين ، والمدرسين . فموللا مكة المكرمة هو المسؤول عن التعليم ، وأمور الدين ، والأفتاء ، والقضاء فى مكة المكرمة .. وكان له مخصصاته الخاصة به . ( المترجم )

(٢) طريق قافلة الحج المصرى : وهو الطريق الذى كانت تسلكه قافلة الحج المصرى بعد ان ينضم إليها حجاج المغرب وشمال أفريقيا . وبعد إتمام المراسم المعتادة كانت القافلة تقطع المراحل التالية :

**بركة الحجاج :**

وهى أول مراحل قافلة الحج المصرية :

جرت العادة منذ القدم ان يصحب أمير الحج المحمل المصرى الشريف ، وسط إحتفال كبير من مصر القاهرة ، ويتجه به إلى (بركة الحجاج) ، وهناك يلتقى بقافلة الحج المصرية ، ثم ينضم إلى بعضهما البعض ، ويتجه الموكب بعد ذلك إلى (هدف البويب) .

**هدف البويب :**

وهو ممر ضيق جداً محصور بين جبلين ، توجد فى طرفه الأيمن من ناحية الشرق هضبة مرتفعة . ويتجه الموكب نحو منزل (الحمرا) ، بعد ان يغادر هدف البويب ، وقد أقامت السلطات المعنية فى هذا الموقع عدة ابنية وفسقية ماء من أجل الحجاج .

**الحمرا :**

تصل القوافل بعد الحمرا إلى (نخيل غاتم) ، ثم إلى (بركة عجرود) .

**بركة عجرود :**

تعتبر هذه المرحلة المنهل الأول . وفيها نهيير يصب مياهه فى الوادى ، وبها خان كبير ينسب إلى السلطان قانصوه الغورى وثلاث فسقيات خصيصاً من أجل الحجاج وهى تقع تجاه السويس ، وتسمى أيضاً عيون موسى . وتصل القافلة المصرية إلى (منصرف) بعد ان تتحرك بركة عجرود ، ثم تنزل فى استراحة قبيبات) .

**منصرف :**

وتوجد بهذه المرحلة بعض المنخفضات ويظن البعض ان تلك المنخفضات كان قد حفرها الملوك السابقون فى العهد الغابرة ، للربط بين البحر الأبيض والبحر الأحمر ، وهى التى حفرت مكانها الآن قناة السويس . وسبب تسمية قبيبات بهذا الاسم راجع إلى وجود عدة كثبان رملية صغيرة فى هذا الموقع .

قريبة من البحر ، فإنه يأتي إليها أشياء كثيرة من مصر ويعمها الرخاء . اشترى

= قبيبات :

بعد أن يغادر المركب قبيبات يصل إلي (أول التيه) ، وبعدها يحط رحاله في الموقع المسمى (وسط التيه) الذي يدعى (روض الجميل) أيضاً .

أول التيه :

هو بداية التيه لبنى إسرائيل ، والتيه المذكورة عبارة عن صحراء مترامية الأطراف على جانبها الأيمن جبل الطور ، وعلى جانبها الأيسر جبل العريش . طوله وعرضه أربعون فرسخاً ، شديد البرودة شتاءً ، مرتفع الحرارة صيفاً . لا يوجد فيه ما يحتمى به من البرودة أو الحرارة ، ومياهه معدومة . وقد تاه فيه بنو إسرائيل مدة أربعين سنة ، وطلوا حيارى ذهاباً وإياباً بين هاتين المرحلتين . ولذلك سميت تيه بنى إسرائيل . ويلى وسط التيه مرحلة (بطن النخيل) وبعدها (وادي التجر) ، وبه ينسوع ماء . وقد امر السلطان قنصوه الغوري بإقامة حصن وفسقية في هذا الموقع . وأخيراً قام أمير أمراء مصر على باشا بتوسيع الحصن والفسقية المذكورة .

ويقوم حراس الحصن المذكور بملاء حوض الفسقية بمياه البئر قبيل وصول قافلة لحجاج ، ويدافعون عنه ضد هجمات الأعراب المنشقين الذين يريدون تفريغ هذا الحوض .

وتحط القافلة رحالها قليلاً من الوقت في (أبيار علايا) بعد معاداة موقع وادي القريض ، وبعدها تصل إلى (عراقيب البغلة) ، ثم تتجه إلى استراحة (الملاحة) ومنها إلى (صقارات) ثم (رأس الركب) فـ (سطح لعقبة) .  
أبيار علايا :

وهذه المرحلة عبارة عن صحراء مسطحة واسعة تقع في نهاية منحدر طويل ، وبها بئران : أحدهما ينسب إلى (بيره) والآخر إلى (علاتي) . ويمتلئ البئران من مياه المطر ، كما يوجد بهذه المرحلة حوض ماء لا بأس به .  
رأس الركب :

والقوافل المتحركة من هذه المرحلة تصل بعدها إلي (سطح العقبة) ومنها إلى (منزل) . ومرحلة منزل هذه عبارة عن مطلع حجرى يؤدي إلى مرحلة (ظهر الحجار) ، ومنه إلى (الخرفين) فـ (شرفة بنى عطية) التي تشتهر بكثرة أخشابها ورخصها ، وتتجه القوافل منها إلى (مطلات) ثم تحط الرحال للاستراحة (مغارة شعيب) ، كما يسمى سطح العقبة بعقبة (أيلة) ، وهناك أطلال قصبة كبيرة على أطرافها توجد قرية لبدو قبيلة (الحويصات) .  
وإذا كان الحجاج لا يجدون ماء يشربونه في هذا المنزل الذى يحضون رحالهم فيه ، فهناك على بعد ميل واحد بئر عذب المياه حوله حديقة كثيفة الأشجار .  
منزل :

وتمثل هذه المرحلة نهاية الربع الأول لطريق مصر - مكة المكرمة ، ومياهها كثيرة عذبة المذاق قريبة من ساحل البحر ، وتمتد نحو ميلين على الطرف الأيسر من جبل الطور . ويوجد في نهاية هذا الجبل منحدران ومضيق صيق ، إلا أن مياهها عذبة وآبارها كثيرة .

مطلات :

تقع هذه المرحلة بين جبلين ، ويقطنها طائفة من جماعة بنى لام .

مغارة شعيب :

وهي تتمتع بحفر ومنخفضات ذات مياه عذبة وأشجار كثيفة من تلك التي تسمى (أثل مقال) . وفي هذا بعض اللوحات التي كتبت عليها أسماء الملوك القدماء .

وبعد مغارة شعيب تصل القوافل إلى (قبر الطواشى) ، فـ (عيون القصب) .

عيون القصب :

وهو واد كثير المياه ، كثير الغابات ، شديد الحرارة ، ويحكى البعض أن الكثيرين ممن يتواجدون في هذا المكان خلال =

الحجاج ما يلزمهم ، وملأوا قريهم . وبعد الظهر تحركنا ، وكنا نخصى تارة إلى اليمين ، وتارة إلى اليسار حتى ترائى لنا البحر الأحمر بعد ثلاث ساعات .

= أيام الصيف يتعرضون للموت الفجائي . وبهذا الوادى مكان قريب من الساحل ملئ بالقبور يزوره الناس . ويظن الاهالى أن أحد هذه القبور ينسب إلى أحد أبناء إبراهيم ( عليه التحية والتكريم ) . وبعد مغادرة عيون القصب تصل القوافل إلى منطقة ( شرم ) ومنها إلى مرحلة ( مويلمة ) ثم إلى ( بطن كبريت ) ثم تصل القوافل إلى ( قبر الشيخ الكفافي ) .

**شرم :**

موضع قريب من البحر ، يسمى الجبل الواقع على طرفه الايمن (إشارة) .

**مويلمة :**

تميل مياهها إلى المرارة لوقوعها على ساحل البحر ، قد نزل السلطان قايتباى بهذا الموضع للاستراحة عندما كان متوجهاً إلى الحج ، ولذلك يطلق عليه أيضاً اسم ( دار قايتباى ) . وما زالت قائمة إلى اليوم .

**قبر الشيخ الكفافي :**

وهو مدفن شخص يدعى مرزوق .

**الشيخ الكفافي :**

تصل القوافل إلى منزل (أزلم) بعد منزل الشيخ الكفافي ، ومنه إلى (سماق رخانين) ثم إلى (اسطبل عنتر) ف (شريت) حيث الصحراء الممتدة الواسعة ، ثم تصل القوافل إلى مرحلة (الوجه) .

**أزلم :**

تمثل هذه المرحلة نهاية الربع الثاني من طريق مصر - مكة المكرمة وهى عبارة عن موقع منحصر بين جبلين أرضه سيخة ومياهه مالحة وأعشابه مسهلة .

**رخانين :**

ولما كان هذا الموقع قريباً من الحج ، فإن الحجاج المصريين يبدؤون الإحرام من هذا الموقع .

**اسطبل عنتر :**

مرحلة صحراوية محصورة بين الجبال ، ذات مياه عذبة وأشجار ظليلة .

**الوجه :**

منزل يشبه الوادى ، به آبار عذبة المياه وحوض كبير . وقد قام إبراهيم باشا والى مصر بتجديد الحوض المذكور سنة ٩٣١هـ ، وهذا الحوض يمتلئ بالمياه عند هطول الأمطار وتدفق السيول .

والوجه قصبة صغيرة تقع فى الجهة الغربية للمدينة المنورة وتحتوى على مائتى دار وعشرين دكاناً وستة أقسام للحجر الصحى وجامع ودائرة حكومية ، وقلعة كانت تحت إدارة المدينة المنورة . وقد انتقلت إدارتها مؤقتاً إلى الخديوية المصرية لوقوعها فى طريق المحمل المصرى ، وتوجد الآن فى حوزة قائمقام مصرى . يستعين بطابور من الجنود النظامية الموجودة فى ينبع البحر وخمسة عشر نفرأ من المدفعية للمحافظة عليها .

تصل القوافل المتحركة من الوجه إلى (بقر القروى) ومنها إلى (حرير) ف(حورا) المشهورة بجفافها وانعدام مائها . ثم تواصل القافلة سيرها إلى (عقيق) وبعدها تنزل فى (صحن بياض) أى الصحن الأبيض .

**صحن بياض :**

هو منزل رملى كثير الشعابين والحيات مخيف الاطراف .

وبعد هذا الموضع الخفيف تنجه القوافل إلى (نبعا) ومنه إلى (طرايطير الراعى) ف(وادى النار) .

**وادى النار :**

هو وادى رملى وحجرى بين الجبال ، ويطلق الناس على هذه المرحلة (السيح الوعرات) لوجود سبح صخور خطيرة وكبيرة فيها .

## صحراء ميمون :

صحراء مترامية الأطراف ، شاسعة لا نهاية لها ، لو تخلف فيها إنسان عن قافلته ، فإنه يمضى ، ثم يمضى ، وتكون عودته منوطة بحظه الميمون ، لذلك أطلقوا عليها وادى ميمون ، تشرق الشمس ، وتغرب فى تلك البيداء ، أشعتها تحرق الإنسان من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، وفى الأثر ؛ أن حجاجاً تحولوا كالفحم ، أو الشواء وهم فى إحرامهم . وعلى المشارف الشرقية لهذه الصحراء يعيش العديد من عشائر البدو وقبائلهم كبنى موال وبنى جان وغيرهم وغيرهم الكثير وبقدرة الخالق ، تتحول جمال الحجيج ، فى هذه الصحراء ، وكأنها التنين ، أو كحيات من ذوات الرؤوس السبع ، تخوض فى رمالها ، متخطية كل الصعاب ، قافذة كالغزلان .. وبعد أربع عشرة ساعة وصلت القافلة إلى :

## سبيل ميمونة بنت الحارث :

وهى من أهل بيت رسول الله ، ولما كانت هذه الصحراء تعود إلى عائلة ميمونة تلك ، فقد أطلقوا عليها وادى ميمونة ، وما زالت معمورة السبيل تخضع لإشراف ونظارة مَنْ يتولى الشرافة فى مكة . ولا تطل استراحة القافلة ها هنا ، بل تحركنا نحو القبلة عقب إطعام الجمال ، والدواب .. يالها من صحراء خطيرة لا أمن ، ولا أمان فيها ، ولكن كانت أوامر الشريف وتحذيراته للبدو واضحة حيث حذرهم [ .. لوضع للحجاج فى هذه الصحراء شئى فلسوف أسلخ جلودكم .. ] لذلك مضينا بسلامة الله ، وقضينا سبع ساعات حتى وصلنا إلى قرية .. . . . . . وهى قرية معمورة

= نبعنا :

وهذه المرحلة ذات مياه عذبة وفيرة ويطلق عليها أيضاً : (فجاج الحجار) . وتتجه القوافل من وادى النار إلى (حجرا) إحدى توابع ينبع ، ومنها إلى (جبل حمر) فوادى تيمنا . ثم تصل المواكب إلى جبل الزيت .  
جبل الزيت :

يطل جبل الزيت على ينبع ، ولهذا يستقبل حاكم ينبع المحمل الشريف فى هذا المكان ويتقدم حمل المحمل حتى السجادة المفروشة ثم تؤدى ركعتان للصلاة حسب العادة .

وتتجه القافلة التى تخرج من جبل الزيت إلى (ينبع) ومنها إلى قرية (عديبية) فأول (دهنا) . ومن هناك إلى (واسط) ومنها إلى بدر ، ومن بدر إلى صحراء (خيب البز) الواسعة ، ثم إلى (عثيق) القريبة من ساحل البحر ، ومنها إلى عقبة (ودان) . وتستمر القوافل من عقبة إلى (رابغ) ثم تواصل سيرها فى الطريق المعروف تجاه مكة المكرمة . « المترجم »

تُسقى من عين الزرقاء ، بها مائتين منزلاً ، وبساتين ، وحدائق غناء ، يبيع سكانها منتجاتهم على قارة الطريق ؛ تمرها ، وشمامها ، وبطيخها كثير . لم نتوقف هنا ، بل تابعنا سيرنا ، ومن الطريف أن النعام ، والغزلان ، والآراب البرية ، كانت تدخل بين الحجاج ، ونحن فى هذه الصحراء ، فيصطادونها فى سهولة ، ويسر ، وكأنها هدية من الله .. وفى نهاية هذه الصحراء يوجد :

### **جبل طيبة سلطان :**

منطقة عذبة المياه ، معتدلة الهواء ، كثيرة المرعى ، لم نتوقف بل مضينا ، واستمرت مسيرتنا وسط الصحراء يومين ، وكان هذا الجبل ما زال باديا لنا . وقد نفقت جمالاً كثيرة ، وتُركت غيرها بعد أن أصابها الإرهاق ، والتعب فى هذه الصحراء ، كما أصيب كثير من الحجاج بالإرهاق ، وحل بهم التعب ، من جراء شدة الحرارة . وحمداً لله ، وشكراً فقد وصلت قافلة الحج الشامى سالمة إلى قرية .. . . . . بها مائتان وتسعون منزلاً ، وحماماً عاماً ، وحدائق نخيل ، وبساتين وفيرة الإنتاج . أقبل إليها جميع الأعراب ، المحيطين ، لبيع منتجاتهم . وأخيراً ، وبعد ثمان عشرة ساعة وصلنا إلى :

### **منزل قصبة ربيعة :**

وهى تحت حكم الشريف ، وبها نائب عن مولانا مكة ، وبها جامع ، وخان ، وأكثر من مائة بئر ماء ، وبسبب قربها من البحر فإن مياهها تميل إلى الملوحة .. ولا تصل مياه عين الزرقاء إلى هنا . ويُحرم حجاج القافلة المصرية فى هذا المكان . وقد مروا قبلنا بثلاثة أيام . ولما كانت القافلة تسير بدون توقف قط ، فقد نفق سبعون جملاً ، وعشرة خيول من التعب ، والإرهاق ، وعدم النوم ، أو تركها الحجاج ، لعدم مقدرتها على السير .

### **قاع البروأوعقبة السويق :**

غرقت كل الحيوانات فى الرمال ، وغمرها العرق ، وترجل الجميع ، وأخذوا فى السير فى بحر الرمال ؛ خطوة يصعدوا فيها مطلعاً ، وأخرى ينزلوا فيها منزلاً ، وكبُر

الجميع «الله أكبر .. الله أكبر» حتى تجاوزوا العَقَبَةَ» (١) ، ولكن بقى بين الرمال ما بين سبعين ، أو ثمانين حيواناً ؛ فكان البدو يأخذونها على الفور من بعدنا ، ولكن مَنْ كان ينظر إلي ذلك !! فلم يبق سوى أربعة أيام للوصول إلى عرفات ، بينما بقيت أمامنا خمس مراحل . وبالرغم من أن رضوان بك أمير الحج المصرى قد أوقف ألف قرش لإزالة رمال تلك «العقبة» إلا أنها ما زالت منطقة مخيفة . فيها هلاك الحيوانات .

وعلى يمين هذا الطريق ، جدار أو نصب مكتوب عليه العبارة التالية : ( جدد هذا المضيق ونظف فى زمن السلطان مراد خان ابن السلطان أحمد خان سنة ١٠٤٨ ) وقد أقام هؤلاء السلاطين جداران على جانبي هذا المر الضيق مسافة سير ساعتين لحجز الرمال ، ولكن بالرغم من ذلك لم تسلم الجمال من مخاطر الرمال ، ويبقى بها سنوياً مئات منها ، وتاريخ الحائط (بنى على يد أمير الحج رضوان باشا سنة ١٠٥٦ بأمر من السلطان ابراهيم خان) (٢) .

وعبرنا أيضاً هذا المكان ، وعلى مسافة أربع عشرة ساعة من «حفرة رابعة» وصلنا إلى :

### قلعة البركة:

توقفت القافلة هنا . وهى قلعة جميلة مربعة الشكل مقامة على صخور مستوية على مسيرة نصف ساعة ناحية الشرق . بناها سلطان بنى هلال سنة ٨٧١ فى زمن الإسكندر . وقد خاض «مالك صُمحان» ، "Malik Sumhan" من بنى

(١) مطلع خطر محاط بالصخور من كل جانب ، حتى أصبح كالممر ، أو المضيق الضيق ، تملكه الرياح ، بالرمال ، مما يجعل السير فيه صعباً . (الترجم)

(٢) السلطان ابراهيم خان : [١٠٢٤ - ١٠٥٨ هـ = ١٦١٥ - ١٦٤٨ م]

كان هو ولي العهد الذكر الوحيد فى العائلة العثمانية عند وفاة السلطان مراد الرابع ، وهو شقيق السلطان مراد الرابع هذا ؛ وهما ولدي السلطان أحمد الأول والسلطان مهيكور . كان فى الخامسة والعشرين من عمره عندما جلس على كرسي الحكم .

ولد سنة ١٦١٥ م = ١٠٢٤ هـ فى مدينة استانبول . وقد قضى عمره فى جناحه محبوباً حتى توليته العرش .. ولهذا كان عصبى المزاج ، اعتلى السلطنة سنة ١٦٤٠ م = ١٠٥٠ هـ وفى سنة ١٦٤٤ = ١٠٥٤ هـ عزل الصدر الأعظم قره مصطفى باشا وعيّن مكانه محمد باشا . ثم قُتل فى ١٨ أغسطس سنة ١٦٤٨ م بعد أن أنزل عن العرش فى الثامن من نفس الشهر . رغم عصبية كان محباً للخيرات . (الترجم)

عنتر حرباً ضرورياً في هذه القلعة ، ثم انتقلت القلعة إلى أيدي بني هاشم « الهاشميين » ثم فتحها سيدنا علي كرم الله وجهه في السنة الثالثة للبعثة . وفي غرب المكان حوض كبير تقدر أطرافه بستمائة خطوة ، ولا مثيل لهذه البركة في طريق الحج ، مياهها تأتي من عين الزرقاء ، وناحية القبلة من هذا الحوض يوجد مسجد منخفض القبة ، على محرابه نقشت العبارة التالية : ( أمر السلطان مراد بن السلطان أحمد بإنشاء هذه البركة سنة ١٠٤٨ ، فلتقرأ الفاتحة من أجل رضا الله . . . . ) .

وبالقرب من هذا المكان قرية ، يحضر جميع البدو إليها كل ما يملكون ويبيعونه في مزاد علني ، وهي مطروقة من الحجاج ، تحركنا من هنا ، ومضينا سبع ساعات تارة بين الرمال ، وتارة أخرى بين الغابات حتى وصلنا إلى « عسفان » . ولم نتوقف ، بل مررنا ، وهكذا بعد أن قضينا إحدى وعشرين ساعة من البركة الجميلة دخلنا إلى قصبة وادي فاطمة .

### منزل قصبة وادي فاطمة :

قصبة تقع أسفل سفح ، بها مائتان بيت عربي ، بها جامع على حافة الوادي ، أطرافه محاطة بالأشجار السامقة الطول ، تتدفق مياه عين الزرقاء في فنائها فقط ثم تختفي . وقد تدفقت مياه عين الزرقاء هذه بين مكة والمدينة على إثر دعوة الرسول الأكرم . فبينما كان النبي الأمين متوجهاً إلى الشام للتجارة ، كانت عين الزرقاء تتدفق في طريقه وإنما إتجه ، وهي في الحقيقة معجزة كبيرة ؛ لأنها تدفقت بناءً على رغبة النبي الكريم ، متخطية الكثير من الجبال ، والصخور ، والصحارى ، وقد قدم الرسول الكريم ﷺ هذه الصحراء كجهاز للسيدة فاطمة ، في السنة الثانية للهجرة . ومن هنا أخذت هذا الإسم . ويستقر الحجاج الذين يفتدون من شتى بقاع الدنيا شهراً في مكة المكرمة ، فينسون متاعب الطريق ، ومصاعبه . وعشرات الآلاف من الحيوانات الخاصة بالحجاج ، ترعى وتتغذى على أعشاب هذه الصحراء ، ولو تغذى أي حيوان على أعشاب هذه الصحراء عشرة أيام فقط ، فإنه يصبح سميناً ، فوادي فاطمة وادي مشمر معطاء .

## صفة النجاة = ساحة النجاة:

قاعة صغيرة مبنية من الحجر ، فبينما كان الرسول الحبيب متجهاً نحو الشام هو ، وبعض أصدقائه ، لما لقيه من عناء على يد المشركين ، أرسل المشركون أمثال أبو لهب ، وأبو جهل ، رجلاً يدعى «سراقة» خلفه لقتله وأعطوه ما طلب ، من مال مقابل ذلك . وبينما كان سراقة يود أن يجهز على النبي الأمين بسيفه فى هذا المكان ، فيسقط سراقة على الأرض بحصانه ولكن بدعاء النبي يغوص الفرس فى الرمال ، عندئذ يتوجه سراقة إلى الرسول بالرجاء أن يدعو الله له بالنجاة قائلاً ، [ولأحارب أعداءك فى مكة ، وأعمل فيهم سيفى] ولما نجاه الله بدعاء الرسول ، أسلم على الفور ، وما أن عاد إلى مكة فى مُعية الرسول (ﷺ) ، تعجب الكفار وسألوه قائلين :

( ما هذا الحال ، أين رأس محمد ؟ ) فيرد عليهم قائلاً : «أيها الملاعين إن رأسى أنا فداء رأس محمد وقد جئت لأطيح برؤوسكم» ، وقتل سبعة منهم ، وأحضر رؤوسهم إلى الرسول الحبيب هنا فى وادى فاطمة هذا ، وأصبح ملازماً للرسول ، ولم يفارقه لحظة .. وقام سراقة ببناء هذه الصفة قائلاً ؛ لقد نجوت من غضب الله . وقمت أنا أوليا العبد الحقير بالتجول والطواف بهذه المنطقة مع عبدين من عبيدى ، بعد أن استأذنت من حسين باشا . وبعد ست عشرة ساعة وصلنا إلى :

## منزل مقام العمرة:

يتوقف الحجاج هنا دون أن ينزلوا أحمالهم . عبارة عن عشر منازل وعشر دكاكين تبدو عليها معالم الفقر ، يخرج كل أهالى مكة لاستقبال الحجيج ها هنا ، ويشرحون لهم شروط الإحرام والعمرة . وهنا يجب الاغتسال أولاً . ولتسهيل اغتسال الحجاج ، أمر عمر باشا والى مصر سنة ١٠٧٣ هـ = ١٦٦٢م بإنشاء بركة كبيرة لدرجة أن القوارب تتجول بها . كما أمر ببناء حمامات ، وميضات ، وأسبلة واستراحات . ويُملئ هذا الحوض بالمياه التى تُسحب عن طريق الدواليب ، والسواقي التى تجرها الشيران . وعلى الذين أحرموا فى بشر على ، ثم ارتدوا ملابسهم ، مزمعين ذبح الأضاحي، عليهم أن يغتسلوا هنا . كما أنه من السنة المرعية صلاة ركعتين هنا . بعد

ذلك على المحرم ألا يقتل قملاً ، أو برغوثاً ، وألا يحك جسمه بأظافره ، فتلك سنة . ويُحرم الفسق ، أو القتل ، أو الشجار تحريماً قاطعاً ، وإذا لم يغتسل الحاج المحرم فيجب عليه تجديد وضوءه ، وهذا فرض . وبمجرد لبس الإحرام يجب على المحرم أن ينوى قائلاً .. « اللهم إني نويت العمرة .. » وإذا كان مقصده الحج فقط ، فيقول .. « اللهم إني نويت الحج .. » وتستغرق المسيرة إلى الكعبة الشريفة ، مدة ساعة واحدة . ويتوجه القادم لأداء طواف القدوم الذي يُعد الفرض أو النُسك الأول . ويقدر طاقة المرء ، يؤدي العمرة ، فكلما أكثر من الأداء نال الثواب وأتم الحج . والسعى بين الصفا والمروة ، واجب ، ويحل بعده حك الرأس ، وتقصير الشعر ، وبعد النزول من عرفات وذبح الأضاحي ، والقيام بالطواف الأخير ، يجب عندئذ الحلق ، وتقصير الشعر ، وهناك من يتمسك بعدم القص على أنه سنة . وعلى طريق العمرة ؛ يوجد عمودان كبيران على جانبي الطريق ، وعلى كل عمود ثلاث قباب صغيرة مكتوب عليها بالخط الكوفي «إنها من بناء أبي بكر» ، ومن يدخل من هذين العمودين ، يكون قد دخل حرم مكة المكرمة .

وعند هذا الموقع ينتظر حسين باشا ، وشيخ مكة ، وقد إمتطى كل منهما صهوة جواده ، وقد مر من أمامهما : أولاً ؛ خارموش باشا أمير الحاج الشامي ثم جند الشام ، ثم جنود الباشا ، وهذه هي الأصول ، والقواعد المرعية ، منذ القدم وقد قامت الفرقة الموسيقية ، المرافقة للباشا ، بالعزف لمدة نصف ساعة ، متواصلة واستغرقت هذه المراسم ساعتين ، وكنا أحياناً نسير فوق الرمال وأحياناً فوق الحصى والحجارة .

### مرحلة وادي فاه Fah :

ولما كنا قد دخلنا مكة ، قبل عرفة بيومين ، فنزلنا في معسكر الباشا المقام هنا وقضينا به اليوم الثامن ، وقد أمر بنحر سبعة جمال ، وأربعين رأساً من الضأن قرباناً ، حيث كان جميع الحجاج ، قد فقدوا الأمل في الوصول ، قبل حلول الموعد لهذا العام .

وقد قدم جماعات ، وأفواج عديدة ؛ من العلماء ، ومشايخ مكة ، وأشرفها والتقوا بالباشا ، وقد لقي كل منهم من الإحترام ، والتبجيل حسب مقامه ،

ومكانته . ثم قَدِمَ بعد ذلك أوزبك بك<sup>(١)</sup> ، أمير الحج المصري ، وأمير جده ،  
بقلاجى محمد بك<sup>(٢)</sup> ، وقواد المعسكرات<sup>(٣)</sup> السبعة الكبار ، ومعتمدها<sup>(٤)</sup> ،  
وجاوشيتها<sup>(٥)</sup> وقواد المعسكرات السبعة الكبار<sup>(٦)</sup> ، وچورياجيوها<sup>(٧)</sup> ،  
واوداباشيوها<sup>(٨)</sup> ، ودخلوا عليه ، فرقة ، فرقة ، وشربوا الشربات .

(١) اوزبك بك : كان قائداً للقوات العسكرية المصرية التى توجهت إلى الحجاز لقمع الفتن التى قام بها الشريف سعد عقب توليه ولاية جدة سنة ١٦٦٩م = ١٠٨٠هـ. وعندما اشتدت القلاقل صدرت الأوامر إلى والى الشام صارى حسين باشا بالتوجه إلى الحجاز وتولى قيادة الجيوش العثمانية والقضاء على هذه التحركات ، وتأمين قوافل الحج وقد تمكن حسين باشا من احتواء الشريف أولاً حتى انتهاء موسم الحج .. ولكن الشريف تمكن من الهرب عندما شعر بما يدبر له . « المترجم »

(٢) بقلاجى محمد بك أمير جده : عمل أميراً على جدة . وكان له قصره في القاهرة . رآه أوليا جليبي عندما زار القاهرة وتحدث عنه عندما تحدث عن القصور التى تحيط بالأوزبكية . ( المترجم )

(٣) آغوات المعسكرات = اوجاق آغالرى ؛ مصطلح عسكرى يُطلق على قادة معسكرات الإنكشارية ، ورئيسهم يُطلق عليه آغا الإنكشارية وكان يُستخدم بدلاً منه فى بعض الأحيان « أركان المعسكر » أى أركان قوات الإنكشارية ، وكانت الرتب التى تلى آغا الإنكشارية كما يلى :

- ١- سكبانباشى .
- ٢- كاتب الإنكشارية .
- ٣- معتمد = كتخدأ الإنكشارية ، أى وكيلها .
- ٤- آغا استانبول .
- ٥- آغوات الأناضول والرومىلى ،
- ٦- كاتب الفضلاء .
- ٧- إمام الأغا .
- ٨- قواد الميسرة .
- ٩- قواد المشاة ،
- ١٠- قواد كلاب الصيد الفرسان .
- ١١- فرسان الكيان .
- ١٢- معتمد الميسرة .
- ١٣- قائد حاملى الرسائل والبريد .
- ١٤- معتمد أى كتخدأ البريد .
- ١٥- رؤوساء البلوكات .
- ١٦- رؤوساء العنابر .
- ١٧- ضباط الخدمات .

وكانوا يعينون جميعاً بناءً على تقرير وتوصية آغا = قائد الإنكشارية . « المترجم »

(٤) الكتخدأ ؛ كتخدأ : **Kethüda** : مصطلح يُطلق على المعتمد أو الوكيل الذى كان يرعى شعور الوزراء أو كبار رجال الدولة ، أو الأغنياء نيابة عنهم ... معتمد وكيل وفى النواحي الإدارية كان يعاون الصدر الأعظم أو الوزير أو الناظر المختص فى تسيير أمور الدولة . فى البداية كان من خواص الصدر الأعظم ورجاله ، ثم أصبح من رجال الدولة وموظفيها وكان يطلق عليه كتخدأبك ، وفى عهد السلطان أحمد الثالث تولى نظارة الداخلية ، وعاون الصدر الأعظم فى أمور الدولة .

تم إلغاء هذا المنصب فى عهد السلطان محمود الثانى ١٢٤٤ هـ = ١٨٢٨ م . وأحل محله نظارة الملكية فى سنة ١٢٥١ هـ = ١٨٣٥ م .

أما فى المعسكرات ؛ فكان عنواناً أو رتبة تُمنح لكبار ضباط الإنكشارية ، وكان لكل سلاح معتمد . وهو ما يوازى فى العصر الحديث « قائد السلاح » . وكان يعاون آغا الإنكشارية فى الأمور العسكرية . ولما كان تنشئته وتعليمه يتم داخل المعسكرات ، ففى بعض الفترات التاريخية فاق نفوذه نفوذ آغا السلاح نفسه . يحمل له حساب من قبل كل قواد المعسكر الآخرين . وهو واحد من ديوان قائد عام قوات الإنكشارية . « المترجم »

(٥) چاوشلر = الجاوشيشية "Çavuşlar" مفردها چاوش . وهو إسم كان يُطلق على أحد الموظفين الذين يُستخدمون فى الأعمال المختلفة . وهو مصطلح إدارى فى بادئ الأمر ، وكان يُطلق عليهم « چاوشان ارکان على » .

هذه وظيفة قديمة فى التاريخ العثمانى ، وكانت مهمة الجاوشية موجودة لدى البيزنطيين والسلاجقة وفى بداية الدولة العثمانية كانوا الجاوشيشية هم الذين يكلفون بالمراسلات ، والمباحثات السياسية من قبل سفراء الدولة . كما كانوا =

ثم جاء كتحفدا الشريف سعد (١) بحصانين مطهمين ، وستة من الغلمان الحبشيين ، الحسان ، والجواهر النفيسة ، والأقمشة النادرة ، والعود ، والعنبر ، وحمولة خمسين جملاً من الماكولات ، والمشروبات ، وقيل يد الباشا ، فأشار له ، إلي مكانه طالباً منه الجلوس ثم قال :

= يكلفون بالفتيش وكتابة التقارير عن أمور الدولة . ثم انتقلت هذه المهام فيما بعد إلى رؤساء الحجاب . وأسندت المراسلات إلى وظائف أخرى . وأصبحت مهمة الجاوشية فيما بعد محصورة على الخدمة في ديوان السلطان فقط ؛ بحيث كانوا يتقدمون ركب السلطان وموكبه وهو يتفقد شؤون المدينة ، ويقومون بالوقوف أمام خيمة السلطان عند الخروج إلى الحرب ، وأثناءها .. أو يقفون في إحترام بالغ عند عزف النوبة أمام معسكر السلطان .  
كان الجاوشية يحتلون المرتبة الثانية بعد التشريفياتية في قانون محمد الفاتح .

كان يُطلق علي رئيسهم « جاويش باشى » أى الباشجاويش أى رئيس الجاوشية . وقد أُلغى هذا اللقب سنة ١٢٥٢هـ = ١٨٣٦ م وأُحل محله لقب « ناظر دعاوى الديوان » . وكانوا ضمن تشكيلات السراى العثمانى . « المترجم »  
( ٢ ) المعسكرات السبعة : ويقصد بها معسكرات الإنكشارية السبعة ، وكانت كل أورطة تتكون من سبعة ضباط يسيرون أمورهم وهم ؛ جورباجى ، أوضه باشى ، وكيل خرج ، بايراقدار ، حامل العلم ، أقدم القادة ، رئيس الطهارة ، رئيس السقاة . « المترجم »

( ٣ ) جورباجيلر ؛ مفردتها جورباجى ؛ = "Çorbaci" : لقب عسكري يُطلق على ضباط البلوكات التى تكون الجيش العثمانى . وكانوا من المشاة فى الجيش ، وكانوا عبارة عن واحد وثلاثين بلُكاً يكونون سلاح المعجمى أوغلان أى سلاح أولاد المعجم أى أولاد غير الترك . وكان يطلق عليهم أحيانا لقب البيادة ، أو اليبيا ، وعلى رئيسهم ياباباشى أى باشايايا أو باشبياده أو سرببادكان .

كما كان يُطلق على رؤساءهم أيضاً بلوكباشى أى رئيس البلوكات . كما كان يُطلق عليهم أحيانا « صوباشى » . وكانت لهم خيولهم الخاصة بهم ، وملابسهم الخاصة بهم أيضاً .

ولا علاقة لهم بالجوربية أى الحساء على الاطلاق بل هى عادة شرقية قديمة أن يتسمى ضباط الجيش بمسميات أدوات الطبخ دون أن يكون لهم علاقة بها ؛ فمدير الأمن هو الصوباشى أى القيم على أمور المياه .. وقد تبدل هذا اللقب سنة ١٢٤١ هـ = ١٨٢٥ م عقب الغاء الانكشارية وحل محله « آغا الأورطة » .

وظل يُطلق هذا اللقب على الأشخاص المكلفين بتسيير أمور الولايات التى كانت مرتبطة بقوات الإنكشارية ، .. كما كان يُطلق على كبار التجار المسيحيين ، وخاصة فيما بين الشعب . « المترجم »

( ٤ ) أوضه باشيلر = أوضه باشى = "Odabasi" : مصطلح عسكري كان يُطلق على واحد من ضباط الإنكشارية ، وكان يعاون الجورباجى فى ادارة مهام فرقته . ويعادل رتبة ملازم فى العصر الحديث وهو المنوط به حفظ الأمن داخل المعسكر، وبين عناصر الجنود . وهم الذين يقومون بمهمة أداء التعظيم والتحية فى العروض العسكرية ، وينام فى نفس العنبر مع جنوده ، وعند الحرب تكون خيمتهم فى وسط المعسكر العام . ويجلسون فوق السجادة الملاصقة للعمود الاساسى فى الخيمة ، ويجلس بقية الأفراد حولهم فى حلقات مستديرة .

اما داخل السراى ؛ فيطلق هذا اللقب على رئيس آغوات القصر الداخلى ، هو المكلف بخلع ملابس السلطان ، وإلباسه إياها . ولذلك فهو يُعتبر واحد من المقربين جداً من السلطان . وهم يتبعون رئيس حرس السلطان . ويختار بدقة من بين خدم السراى ، وخصيائه أى من الطواشية . له مخصصاته اليومية ، والسنوية ضمن خزينة ملابس السلطان . بالرغم من أنه من بين أصحاب العرض ، أى من بين الذين لهم حق المثول بين يدى السلطان وعرض بعض الأمور عليه . أُلغى هذا اللقب مع التغييرات التى تمت على السراى مع عهد التنظيمات الخيرية سنة ١٢٥٥ هـ = ١٨٣٩ م .

( ١ ) كتحفدا الشريف سعد : أى معتمد ، ووكيل الشريف سعد الذى تولى الشرافة أربع مرات متقطعة منذ ١٠٧٧ - ١٠٨٤ / ١١٠٣ - ١١٠٥ - ١١٠٦ / ١١١٤ - ١١١٦ - ١١١٦ هـ .

(لما لم يحضر جناب الشريف ، فما حال حضرته ؟) فاعتذر المعتمد قائلاً : (إنه يدعو لكم بالخير .) فقبل الباشا ، هداياه ، وودع الكتبخدا قائلاً : «بلغ جنابه سلامنا» . ثم أصدر أوامره قائلاً :

«ولتكن قوات البيادة<sup>(١)</sup> ، والخيالة<sup>(٢)</sup> ، والسكبان<sup>(٣)</sup> ، والصاريجة<sup>(٤)</sup> ، على أتم الإستعداد . فليؤدى آغوات الداخل<sup>(٥)</sup> وآغوات الخارج<sup>(٦)</sup> التحية .»

(١) البيادة : "Piyade" : قوات المشاة فى الإنكشارية العثمانية . ثم تم تجهيزها بالبنادق . وكانت تشكل عنصراً مهماً فى القوات النظامية فى العصر العثماني . ( المترجم )

(٢) الخيالة : الفرسان .

(٣) السكبان : "Sekban" : فرقة من فرق الجيش الإنكشارى ، كانوا فى بداية تكوينهم فى عهد السلطان محمد الفاتح برعاية ، وتدريب ، وتربية كلاب الصيد . ثم انخرطوا فى صفوف الجيش المذكور ، وأضحوا من عمدة للشاة فى الجيش العثماني ، وكانت اورطتهم موزعة على ٢٥ بلوكاً . وعلى رأس كل بلوك ضابط ، ورئيسهم كان يُسمى سكبان باشى . ( المترجم )

(٤) الصاريجة : "Sarica" ؛ مصطلح عسكري كان يُطلق على الجنود المتمردين الذين ظهروا فى الأناضول ، وينسبون إلى صاريجه باشا . كانوا سبب نكبة أحلت بالبلاد خلال فترة حكم السلطان محمد الفاتح ، ولهذا السبب أصبح هذا اللقب يُطلق على كل الجنود الذين يرفعون راية العصيان والتمرد . ( المترجم )

(٥) ايج آغالار : "Ig Agalari" : مصطلح يُطلق على الذين يحملون فى خدمة السلاطين العثمانيين داخل قصورهم ، وسراياتهم وهم أنفسهم من يُطلق عليهم (آغوات الأندرون) أى آغوات الداخل .

هم أربعة أنواع : ١- رئيس الآغوات ، وكان بمثابة رئيس الحرس المكلف بحراسة بوابات السراى . وهو أعلى رتبة بين ضباط السراى . ، كان يُختار فى بادئ الأمر من الطواشية البيض ، ويوجد تحت إمرته ما بين ٣٠ - ٤٠ غلاماً من الذين يُطلق عليهم «غلمان الباب» . وهم يتلقون الأوامر من رئيس آغوات الابواب الأربعة . وكان يُطلق عليهم أيضاً آغوات المفتاح . ثم آغا البشكير ، وآغا الشربات ، وآغا الأبريق .

وهؤلاء أعلى الرتب داخل السراى ، وآغا الباب يكون فى رفقة السلطان دائماً . ولا يتخلف عن مرافقة السلطان إلا إذا توجه إلى الصيد ، أو فى النزعات البحرية ، فيظل هو فى السراى للحراسة .

ثم يتلوه فى المرتبة رئيس خزينه السلطان وهو المكلف بوضوء السلطان ، وفرد سجادة الصلاة ، وتفقد نظافة المكان وأمنه قبل فرد السجادة ، والهدف من ذلك هو توفى وضع السم للسلطان . وفى نفس الوقت هو رئيس خدم الخزينه السلطانية .

أما ثالث آغوات السراى فى الكيلار باشى أى رئيس طباخى السراى . وهو المكلف بوضع الأطباق وأدوات اللقده للسلطان ويشرف على المجموعة التى تعمل على خدمة السلطان عند تناول الطعام .

أما الآغا الرابع الذى يعمل داخل السراى فهو آغا السراى وهو المكلف برعاية القسم الخاص فى السراى ، والغرف والمسالونات وتحت إمرته ما لا يقل عن أربعين نفرًا من الآغوات . وعلى هذا المنوال ؛ كانت طائفة منهم وعلى هذا النسق تعمل فى خدمة الصدر الأعظم ، والوزراء ، والولاة ، والقادة .

كما كان فى السراى أصحاب وظائف أخرى ممن يحملون على راحة السلطان ، وخدمته . . فهناك من يحافظ على ملبسه ، وقفاطينه ، وركابه ، وعدا معاشاتهم الشهرية ، فقد كانت لهم مخصصاتهم السنوية ، التى تعادل ما يقدم إلى آغوات الخدمة الخارجية . « المترجم »

ثم وصلوا إلى بيت الله محرمين ، وطافوا سبعة أشواط ، طواف القدوم ، ثم زاروا مقام ابراهيم ، وأتموا طواف القدوم بالسعى بين الصفا والمروة ، سبعة أشواط .

وفجأة وصل الباشا إلى مخيم الشريف سعد ، فأطار ذلك صواب الشريف . فقال سعادة الباشا مطيباً خاطره ، ومسرياً عنه :

( لقد شرفتم مخيمنا صباحاً .. ولكم خلعه سلطانيه <sup>(١)</sup> من سلطاننا صاحب السعادة وفرو سموري ، وخط شريف <sup>(٢)</sup> يتعلق ببقاءكم في مكانكم ... فلندخل سوياً إلى مكة بالموكب المحمدي ، ولنصعد إلى عرفات معاً ) .

= (٦) طيش آغالري : Dis A'galari : مصطلح اداري يُطلق على صنف من كبار رجالات الدولة وموظفيها . وكان يُطلق عليهم أيضاً «بيرون آغالر» أى آغوات الخارج . وهو يُقابل أو يضاهى لقب آغوات الداخل . وكان على رأسهم آغا الانكشارية ثم يتلوه العزب ، والسباهية ، والسلحدار وصاحب العلوفة ، وآغوات قوات المقدمة أى القوة المهاجمة فى مقدمة الجيش . وهم من يمكن أن نطلق عليهم قوات الاستطلاع فى العصر الحديث ..

اهمهم هو آغا الانكشارية فهو بمثابة رئيس اركان الجيش ، وقوته الضاربة ، فهو قائد المعسكرواعلامهم رتبة . ثم جاء منهم الوزراء . وكانت لهم اهميتهم الخاصة لموقعهم فى الجيش ، يومية الواحد منهم ٥٠٠ آقجه ، عدا المخصصات اللازمة لتربية وتدريب الميئات من الخيول اللازمة للجيش بفرسانها .

يتلوه فى الاهمية آغا الغرب ؛ وكانت قوات الغرب فى عصر السلطان محمد الفاتح وعند فتح القسطنطينية ١٤٥٣م مايزيد عن ثلاثين ألف مقاتل . كان لهم السباهية ، والسلحدارية ، والعلوفجية «التموينات» وجميعهم من فرسان الخيالة . وكانوا عبارة عن أربعة طوابير ، العلوفية ، والغرباء «العزبان» عن اليمين واليسار ، والاخرين فى الوسط . يومية الآغا مائة آقجة . كما ان لهم مخصصات سنوية ما بين ١٦ - ١٧ ألف آقجة كعلوفة . «شعير»

ام الصنف أو الصف الثانى من آغوات الخارج ؛ منهم رئيس المدفعية ، ورئيس الجبخانجيه = المسئول عن الذخيرة والمفرقات ، ورئيس العربية . أى المسئول عن عربات جر المدافع ، ورئيس الفرقة الموسيقية .. موسيقات المعسكر . وكانوا يبلغون جميعاً اثنى عشر فرداً ويُعتبر امير الاطبل . ومربى الصقور ، وكلاب الصيد أيضاً من آغوات الخارج .

وبإختصار فإن كل من يعمل بالخدمة خارج السراى يمكن أن ينطبق عليه أى آغا الخارج . «الترجم» (١) الخلعة السلطانية : مصطلح يُطلق على الجبة ، أو القفطان الذى يُلبس فوق الملابس . وهو فى الغالب قفطاناً يُقدم من السلطان إلى من قدّم خدمة خلية للدولة من كبار موظفيها .

كما أنه يُطلق على ما يلبس فى المراسم الرسمية من الملابس ، وكان يُهدى من السلطان أيضاً ، وممن كان السلطان يتطلطف عليهم بالخلع السلطانية ؛ الصدر الاعظم ، والوزراء ، ورؤساء الجند ، وشيخ الإسلام ، وشريف مكة . كانت الخلع من الفراء الثمين ، أو الجوخ أو القماش الغالى القيمة .. وهى عادة اسلامية عرفتها الحضارة الإسلامية منذ صدر الإسلام .

ظلت هذه العادة معمول بها فى الدولة العثمانية حتى ألغيت فى عصر السلطان محمود الثانى وحل محلها تقديم ساعة مرصعة أو طبق من الذهب ، أو غليون مرصع وما شابه ذلك . (الترجم)

(٢) خط شريف : مصطلح إداري كان يُطلق على الامر الصادر من طرف السلطان بصدد امر معين أو بشأن تعيين شخص فى وظيفة معينة . فلم تكن هناك ضرورة أن تخرج جميع الاوامر بخط يد السلطان بل كان الكتابة والكتتاب هم الذين يحفظون الاوامر ، ثم يُوقع فقط من قبل السلطان . وكانت الاوامر تُكتب على ورق خاص بالسراى ، وتكون عليها طغراء السلطان .

فعاد إلى الشريف هدوءه ، وصوابه . وبعد أن شربوا القهوة ، والشربات قدم الشريف إلى الباشا هدية عبارة عن ؛ عشر زجاجات من العنبر ، وثلاث مسبحات من اللؤلؤ ، وعلبه من الجواهر الصغيرة ، وعشرة بقشاش «صرات» من الأقمشة ، وثلاثة غلمان حبشيين . فما كان من الباشا ، إلا أن أخرج من حزامه خنجرًا ، مرصعًا بالجواهر ، ومنطقة في خصر الشريف سعد . وكان الشريف شخصية جذابة ، كريم جواد ، أسمر اللون ، وهنا ودّع الباشا ، ومكث هو في خيمته .

### موكب عساكر مصر والشام في مكة المكرمة:

فيما يلي أسباب تعيين حسين باشا ، وزيراً ، وتحت إمرته ثمانية آلاف جندي :  
قبل الآن بسنة ، وبالضبط في سنة ١٠٨١ هـ = ١٦٧٠ م كان حسن باشا كتخدا عنكبوت أحمد باشا مكلفاً بإعمار الحرمين الشريفين ، وتأمين أمنهما ، وجمع أموال الصرة ولم يستطع حسن باشا التعامل بحسب مع مواقف الأشراف ، أو التعامل والتعايش معهم ، وخلال السنة المذكورة وبينما حجاج المسلمين ، في طوافهم حدث شغب مما دعى الحجاج للبقاء في المسجد الحرام ، محتمين به ، وقد أغلقت كل الأبواب ، فصعد آلاف من أشقياء الأشراف المسلحين ، إلى جبل أبي قُبَيْس ، ومنارات مكة ، ومدارسها ، الملتفه حول الحرم ، وأمطروا الحجاج بوابل من الرصاص ، فُجرح سبعمائة حاج ، واستشهد مائتان ، وامتلى الحرم الشريف بجثث القتلى ، وقُتل حسن باشا نفسه . وسلبت أمتعة الحجاج ، والجند ، ونُهبت حاجياتهم ، وبينما جند مصر ، وعساكرها عائدون إلى ديارهم قام الشريف حموده<sup>(١)</sup> بإعمال السيف فيهم في مكان يُدعى «نار» "Nar" .

وما أن سمع السلطان بهذه الكارثة الفاجعة ، حتى عيّن حسين باشا ، وزير الشام

= وهناك بعض المعاهدات أو الأوامر التي كان السلطان يخط بيده ملخصها ، ثم يقوم الكتاب بكتابتها .. ووقعها السلطان .. وكان من المعتاد ارسال خط شريف إلى شريف مكة سنوياً لتثبيته في مكانه ، أو تولية غيره .. «المرجم»  
(١) الشريف حموده : هو الشريف حمود بن الشريف عبد الله الذي يبدأ به فرع العباد له كان يحكم مكة مع الشريف بن زيد سنة ١٠٧٧ هـ = ١٦٦٦ م . ولما نشب الخلاف بينه وبين الدولة العثمانية أقام في ينبع ، وقام بمقاومة القوات المصرية التي بعثت بها الدولة ضده . ولما اشتد عليه الضغط فر فيما بين البدو ولكنه في سنة ١٠٨١ هـ = ١٦٧٠ م عقد الصلح مع الشريف سعد ، وانسحب الى الطائف . وتوفى هنالك سنة ١٠٨٥ هـ = ١٦٧٤ م . (المرجم)

قائداً لثمانية آلاف جندي ، ولم يجعل هذا الخبر ينتشر . وفي الصباح التالي خرج أمامه ثلاثة آلاف جندي مصري . وقد كان العسكر جميعاً ، مدرعين من رأسهم ، إلى أخمص أقدامهم ، وكانت الطبول المصرية تصدح ، من كل مكان . وبينما هؤلاء الجند يصطفون هكذا ؛ في شكل بديع محتشم ، سار جند الشام ، فوجاً ، فوجاً ، وقد إمتطى الفرسان ؛ صهوة جيادهم العربية الأصيلة ، من الجلفة ، والطريفى والصقلاوى ، والمصفحة ، والكالفداني . وقد تذررت قوات المحمودية (١) بأطقمها المذهبة ، والمطرزة بالذهب ، وقد أمسك الفرسان ببيارقهم من ناحية ، ومن ناحية أخرى بألجمة خيولهم . ثم مر خارموش باشا ، بخمسائة من فرسانه ، على نغمات فرقته الموسيقية ، ومن خلفهم الفرسان التتارية (٢) ، ثم أعقبهم الآغوات بملابسهم الناصعة ، وقد أمتطوا صهوة جيادهم الكُحَيْلَانِيَّة ، ومن خلفهم رؤساء القابجية (٣) .

(١) قوات المحمودية : مصطلح عسكري يُطلق على القوات النظامية الجديدة التي تشكلت في عهد السلطان محمود الأول . وتسلحت بالأسلحة الحديثة ، وقضى بها على الإنكشارية فيما بعد . (الترجم)

(٢) طاطار = تاتار Tatar : مصطلح إداري يُطلق على حاملي رسائل البريد قبل تأسيس إدارة البريد والبرق في الدولة العثمانية . وكان يطلق عليه «أولاق» = حامل الرسائل وموصلها . أيضاً . وهذا يختلف عن «ساعى» البريد ، فالساعى هو الذى يقوم بتوصيل الرسائل والمكاتبات الخاصة . ثم حلَّ مصطلح التاتار على كل مَنْ يقوم بأعمال البريد . وتطلق عليه بعض المعاجم العثمانية «ساعى سريع الحركة ينقل الرسائل» . كانت تشكيلات البريد = التاتار ، تنطلق من العاصمة استانبول إلى سائر الولايات والبلدان ، لنقل الرسائل ، وقد قُسمت الطرق إلى مسافات ، ومراحل كانت في كل مرحلة توجد «منزلقانه» يترك فيها التاتار حيوانه سواء أكان خيلاً أو بغلاً .

وكان في كل دائرة ، أو نظارة ، أو وزارة عدد من التاتار ؛ قد وصل في بعضها إلى ٥٠ - ٦٠ تاتارياً .. وكان التاتار يتحرك من العاصمة استانبول بالفرمان الذى يصدر له من الباب العالى إلى حيث توجه الرسالة . فمن استانبول إلى بلغراد ومن اسكدار حتى بغداد . وكانت الأهالي تجتمع في المحاكم الشرعية في المدن التي يصل إليها التاتار لقرائه ، والسماع إلى الفرمان أو الأوامر ، والتعليمات التي احضرها .

كما كان الولاة يرسلون معهم تقاريرهم وكذا الاموال التي يبعثون بها من الولاية إلى العاصمة أو العكس . كانت أوامرهم مطاعة في كل المنازل التي ينزلونها ، ولا مراد أو مخالفه لما يقولونه وكانت تنفق من سرعتهم بضع حيوانات ، كما كانت القطعان تُجر تحت سياطهم . ولا مانع من شق القيم على محطة البريد إذا ما تأخر من إعداد الدواب اللازمة .

كانت لهم ملابسهم وقيافاتهم الخاصة بهم والتي يتميزون بها ، وكانت أغلبية الرأس الد «قلباق» الخاص بهم ممنوع على أى طائفة أخرى أن تلبسه .

وكان رئيسهم في أي دائرة حكومية يُطلق عليه «آغا التاتار» . وهو المسعول المباشر عن كل مايتعلق بالبريد . (الترجم)

(٣) قابجى باشى : قبوجى باشى ؛ رئيس حراس البوابات : مصطلح إداري يُطلق على أمر ، أو ضابط الحراسة المكلف بحراسة بوابات السراى . وكانوا يقسمون إلى قسمين ؛ «دركاه على» ، أى الاعتاب العالية ، والثانى ، باب همايون ؛ أى =

وبعد كل هؤلاء ، سار الباشا فى هيبة الغضنفر ، وقد تذر بفراعه السُمورى الغامض اللون ، وفى خصره كنانته ، وعلى رأسه العمامة السليمية ومن خلفه آغواته تهتز الأرض والسماء من وطأة أقدام خيولهم الكحيلية . وفى الصفوف الخلفية سار وراء الباشا السلحدارية (١) ، والچوخدارية (٢) ؛ بملابسهم ، ومعداتهم ، التى تبعث فى

= باب السلطان . وكان عدد المكلفين بالخدمة عليهما حوالى خمسمائة حارس فى آواخر القرن السادس عشر الميلادى . ولكن من كانوا على آعتاب الدرگاه العالى وحدة سنة ١٠٧٧ هـ قد بلغوا أربعين بلوكا .

لا يعرف بالضبط فى التاريخ العثمانى متى تم استحداث هذه القوات ، ولكن بما أن ذكرهم قد مر فى قوانين محمد الفاع فمعنى ذلك أنهم منذ أوائل الدولة العثمانية .

وكان أحدهم هو الذى يحمل الرسائل السريعة والمهمة من العاصمة إلى والى آية ولاية . وهم الذين يستقبلون سفراء الدول الاجنبية الذين يقدمون فى مهمات إلى الدولة العثمانية .

كانوا ينتقلون بين أربع درجات اعلاها هى القابوچى باشى «أى رئيس حرس البولية» ولكنهم وصلوا إلى ست رتب فى عصر محمد الثالث . وكان من مهام رئيس الحرس هو إحضار الإبريق والطشت أمام الصدر الأعظم لغسل يديه بعد تناول الطعام فى ديوان الهمايون .

بلغ بعضهم رتبة الوزارة ، ثم أصبحوا قوة من قوات النظام الجديد بعد إلغاء الانكشارية ، ثم أصبحوا هم الذين يناط بهم عمل الركاب السلطانى ..

فى عهد السلطان محمود الثانى أى فى سنة ١٢٤٤ هـ = ١٨٢٨ م حددت لهم مهامهم ، وملابسهم وساعات الخروج مع السلطان .

فى سنة ١٢٤٧ = ١٨٣١ م تقرر رفع راتب من يخرج منهم على المعاش إلى ثلاثمائة قرش شهرياً .

كانوا يكلفون بالخدمة فى الضواحي وكثير من الولايات الأخرى وخاصة الحرمين الشريفين .

تكونت منهم بلوكات ، وكان لهم كتخداهم أى معتمدتهم . ووكيلهم ، وكنت لهم عنابرهم الخاصة بهم . «للترجم» (٢) السلحدارية ؛ سلاحدار "Siláhdar" : لقب يُطلق على واحد من كبار رجال السراى . وكان يوازى له من كبار رجال السراى . وكان يوازى له لقب «سلحدارى شهريارى» . ويوازى أيضاً «سلحدار آغا» أى آغا السلحدار أى الأغا حامل السلاح . وفى بداية الأمر كان من الأركان الخواص ، وثانيهما ، أما الأول فهو «رئيس القاعة الخاصة» . وكان السلحدار من المقربين للسلطان ولهذا السبب كانت من الوظائف المهمة .

وخلال المواقب الإحتفالية والمراسم كان يسير خلف السلطان مباشرة على الجانب الايمن وقد امتطى صهوة جواده المطهم ، وهو فى كامل ملابسه المرصعة .

قد استحدث هذا اللقب فى عصر يلديرم بايزيد = بايزيد الصاعقة ، وبُين قاتون محمد الفاع أن هذا المنصب كان مهماً منذ ذلك التاريخ .. وكان صاحب هذا المنصب يتلقى تعليماً ، وتنشئة جيدة مسبقة فى السراى الهمايونى .

كان صاحبه يتدرج فى مناصب سابقة حتى يصل إلى هذا المنصب . وكان منذ عهد السلطان مصطفى الثانى أى ١١١٠ هـ - ٩٩ / ١٦٩٨ م يصدر بشأنه فرمان خاص بمن يتولى هذا المنصب مما زاد من قيمته .

وكان من حقه أن يشرف ، ويفتش على كل الوظائف والمهام داخل السراى .

وكانت تمنح لهم رتبة الوالى على بعض الولايات المهمة مثل مصر وغيرها كنوع من الإحسان السلطانى ؛ كترضية أو كمكافئة ، أو أن يُعين أحدهما قبطاناً بحرياً أو قائداً للإسطول ، بل وصل بعضهم إلى الصدارة ، ومن لم ينل رتبة الوزارة فقد كان ينال الاقطاعات ، والزعامات والتيمارات الشاسعة . ومن كان منهم ينال هذه العطايا فقد كان يعيش طوال حياته مرفهاً .

النفوس الحشمة والهيبة ، فى نفس الوقت ، ومن بعدهم رئيس السقائين وقد حمل فى يده مطرة «قربة» من الجوهر الخالص ، ثم ثمانية من الشطار<sup>(١)</sup> وقد علقوا فى خصورهم أحزمة من الفضة الخالصة ، والبُلُط الفولاذية ، وعلى رؤوسهم طاسات ذهبية ، وفى أعقابهم ، أمير الاسطبل<sup>(٢)</sup> وقائد بلوك الحرس ، والإمام والمؤذن كل على صهوة جواده .

كما كان الباشا قد إرتدى درعه كذلك ، وكان يمضى فى تعودة ، وهو يلقي بالسلام ، والتحية على من إصطفوا على الجانبين ، ويرد عليهم تحياتهم . وكانت الصفوف الخلفية تشمل بقية السلحدارية ، والجوخه دارية ، وحوالى مائتين من الآغوات ؛ وقد ارتدوا ملابسهم المزدانة بالقصب والقشيب ، ثم

---

= ومن كان يُعين سلحداراً ، كان يمنح مبلغاً نقدياً تحت مسمى «عجميك» قد وصل فى القرن الثانى عشر الهجرى ، الثامن عشر الميلادى ١١٦٠٠ آقجة .

وكان السلحدار يُختار من بين الشخصيات العلمية وقد وصل منهم ما لا يقل عن عشرين شخصية بمنصب الصدارة المعظمى .

كان يُطلق على رئيسهم «سلحدار آغا» أى آغا السلحدار . كما كان من بين تشكيلات الانكشارية بلوكاً يُطلق عليه «بلوك السلحدار» وكانت قواته من الخيالة والفرسان . كما كانت هناك خزانة خاصة تحت حراستهم ملاصقة لدائرة السلطان ، ولدائرة الامانات المقدسة فى سراى السلطان ، وكانت تُحفظ فيها الاشياء القيمة إلى جانب أسلحة السلطان . وهم الذين كانوا يؤمنون طريق الجيش عند التوجه إلى الحرب . ومن القوات المهمة المرافقة لموكب الحج والمحمل المتجه إلى الحرمين الشريفين ، وتكون هذه القوات تحت إمرة أمير قافلة الحج الشامى . «الترجم»  
(٢) جوخه دار = Cuhadar : مصطلح يُطلق على الشخص الذى كان يقوم على خدمة السلطان فى إعداد ، وتنظيف وتلبس الأحذية .

ثم توسع حتى شمل من يقومون باسدال الستائر وفتحها فى السراى ، وقصور الوزراء وكبار رجال الدولة . ولما كانوا يلبسون الجوخ فقد أطلق عليهم الإسم مشتقاً مما يلبسون «أى أصحاب الجوخ» .

ومن يقوم بهذه المهمة فى المقاسات العسكرية يطلق عليهم «بارده جاويشى» أى جاويش الستارة . وكانوا يتولون أعمالاً أخرى إلى جانب أعمالهم هذه . وكانوا يبرون ضمن المواكب والإحتفالات كنوع من الزينة ، والبهرجة وإظهار للإياء . ثم انتقلت هذه الوظيفة إلى سائر الولايات . كما كانوا يتواجدون فى رفقة قادة الجيوش فى وقت الحرب ، وفى معية أمير قافلة الحج . «الترجم»

(١) الشطار : جمع شاطر

مصطلح يُطلق على قسم من الذين يكونون فى معية السلطان العثماني وكانوا يسيرون فى كوبة مطنطنة حول السلطان بملابسهم المزركشة زيادة فى الأبهة . وكان هناك مثيل لهم يسيرون حول الصدر الاعظم ، أو الوزراء . وكانوا مرتبطون بالتشكيلات الملحقة بالسراى . ويمكن اعتبارهم الحرس الخاص للصدر الاعظم ، والوزراء فى بعض العصور . ويطلق على رئيسهم «شاطرياشى» الباشاشاطر . «الترجم»

(٢) أمير الاسطبل : أميرى آخور : لقب يُطلق على المسئول عن الإسطبل السلطاني ، وكان هو المنوط به إعداد الجنول للسراى ، وللسلطان . ويُعتبر من كبار القواد ورجال الدولة . والمقرين إلى السلطان . «الترجم»

الكتخدا ، والخزنة دار (١) وفرقة الموسيقى المكونة من ثمانية أطقم ، وهى تصدح بموسيقاتها العسكرية . وكانت مكة ذاتها ، البطحاء تصدح هى الأخرى بتلك الموسيقى . ومن خلف الفرقة الموسيقية رئيس الطباخين ، والذواق (٢) بأعلامهم ، وكتخدا الاسطبل ، والسراجين ثم السقائين ، والجمالة ، وحملة المشاعل . ومن بينهم جاوشية إثني عشر آلياً (٣) من المشاة ، وقد امتطوا صهوة جياد ، مزدانة ، أعرافها بزينة براقية ، وقد ارتدوا هم أنفسهم الملابس الحريرية ،

(١) خدبنة دار = الخازن ؛ Hazinedar : مصطلح مالى ، وإدارى يطلق على القيم على الخزينة التى تُحفظ فيها الأشياء القيمة والمجوهرات الخاصة بالسراى وبرأسهم من يُطلق عليه خزينة دار باشى أى الباشخزينة دار أو الباشخزنة دار . وهو اللقب الذى كان يطلق على رئيس خزنة السلطان فى السراى . وهو من أهم الشخصيات فى السراى ، أو فى قصر الحكم فى الولايات . وكان من الضباط الكبار فى السراى . وهو المسئول عن الموظفين الذين يعملون تحت إمرته . ومن ضمن وظائفه إلى جانب الحفاظ على الخزينة ، فهو يباشر فرد سجادة الصلاة للسلطان أو الصدر الأعظم الخ كما يهتم بقفازات السلطان ، وحمايته من أى ضرر قد يكون كامن فى هذه الأشياء . وفى الأيام الأخيرة من حياة الدولة العثمانية انحصرت هذه الوظيفة فى سراى طوب قيو فقط .

كانوا يذهبون فى رفقة أمير الحج وهم المناط بهم حفظ الهدايا التى تُقدم إلى الحرمين الشريفين ، والأشرف ، والسادات والمجاورين والعلماء فى مدن الحجاز فى موسم الحج « المترجم »

(٢) الذواق = جشنه كبير ؛ = جشنى يار : Çesniyar : هو المكلف بتذوق سائر الأطعمة قبل تقديمها داخل السراى . . وهم مخصصون للعمل داخل قسم الحرم فى السراى . وكانوا يقسمون إلى مجموعتين ، إحداهما يتولون الخدمة العامة والأخرى للخدمة الخاصة داخل قسم الحرم . وكان كل قسم مكون من سبع وظائف يعملون داخل السرايا . وكان وهم ؛ الخزينة دار صاحب الخزينة ، الأبريقدار = صاحب الإبريق وحامله . اوسطى الكيلار ، اوسطى الفسيل ، اوسطى القهوجى ، اوسطى الصناديق = صناديق الحلوى والملابس ، وكان الذواق على رأسهم جميعاً . ومنوط به سلامة السلطان أو الصدر الأعظم ، أو الوزير ، أو الوالى أو من يقوم بخدمتهم . وكان الذواق مع اوسطى الكيلارهما . المسئولون عن الطعام والشراب فى السراى أو الوالى ، أو أمير الجند ، أو قافلة الحج ، وكانوا جميعاً يمرّون فى المواكب بملابسهم المميزة لهم .

وكان كلاهما يظللان بالقرب من المائدة حتى رفعها . ومناط بهما اعدادها ، وتذوق الطعام والفاكهة ، والشراب قبل تقديمها . « المترجم »

(٣) الآلاى : Alay : مصطلح عسكري يُطلق على جماعة أو مجموعة متجانسة تمرّ فى موكب ما ، وأصبحت تطلق على العرض العسكري . أو الموكب الذى يمر أمام السلطان ، أو الملك ، أو الرئيس فى أيام معينه . ومن أهم الشخصيات فى المواكب أمير الآلاى ، وقائد الآلاى ، وأمين الآلاى . وكتاب الآلاى . وكذلك أخذ يطلق على مجموعة فى التشكيلات والتنظيم العسكري ؛ فالآلاى ؛ يضم المشاه ، والحياالة والمدفعية ، ومن نظم الجيش العثماني أن الآلاى يتكون من أربعة طوابير مشاه ، وخمس بلوكات فرسان ، وست بطاريات مدفعية فى كل بطارية أربعة مدافع باطقمها .

وإن كان هذا التشكيل قد طرأت عليه الكثير من التغييرات على مر العصور . وأضيف إليها فى العصر الحديث ؛ إمام الآلاى ، ومفتى الآلاى ، وجاويش الآلاى . وكان لكل آلاى علمه الخاص به يرفعه عند المرور فى الموكب أو العرض العسكري . « المترجم »

والخملية ، والمكونة من شلوار أطلسى ، وعمامات خَرطاوية ، وقد أمسكوا فى أيديهم صولجانات فضية ، وكانوا يمرون من بين الصفوف من حين لآخر للإشراف على حسن اصطفاف الجنود .

لقد مر موكب الباشا ، وآغواته ، وبعد ذلك اختلط الجنود المصرية والشامية ببعضهم ، وأطلقت الفشنكات فرحاً ، وإبتهاجاً ، وضجت كل النواحي بأصوات البنادق ، التى انطلقت فى كل مكان .

وبعد أن عبر الموكب مَطْلَعاً ، ترائى للجميع أعيان مكة ، وأشرافها ، ومواكب الشريف سعد شخصياً برجاله الحفاة ، العراة ، الرؤوس ، وقد وقفوا على يمين الطريق للتحية بملابسهم البيضاء ، ولم يضعوا على رؤوسهم عماماتهم الخضراء .

فيحكى أنه عندما كان قايتباى سلطاناً على مصر حضرت شقيقته إلى مكة ، ولكن شريفها لم يسمح لها بالزيارة ، والطواف ما لم يأخذ ثلاثة آلاف دينار ذهبى ، كما تقاضى من كل حاج عند الطواف مائة دينار . وعند عودة شقيقة قايتباى ، أراد مقابلتها ، ولكنها رفضت اللقاء معه ، ولما سألوا عن السبب قالوا :

(آلا تخاف من السلطان قايتباى . . حتى تطلب من شقيقته ثلاثة آلاف دينار ؟ فقال هو بدوره - إن كان قايتباى قادراً ، فليحضر بعشرة آلاف فارس ، وليسترد هذه النقود إن استطاع . وما كان من شقيقة قايتباى إلا أن قطعت على نفسها عهداً ألا تكلم آخاها ما لم ينتقم لها منه ) .

وعلى الفور أعد قايتباى إثنى عشر ألف فارس ، وسار بهم نحو مكة . وقبض على كل الأشراف ، واسترد أموال الحجاج ، وبعث بسبعمائة شريف إلى مصر ، ومنعهم من «لبس العمامة الخضراء ، أو ركوب خيول لها ذيول ، أو إرتداء أى نوع من الآخذية . بل عليهم أن يمتطوها ، وهم حفاة الأقدام ، وأجمتها من الحبال العادية » . واستبقى ثلاثة أشراف فقط فى مكة ؛ أحدهما الشريف الكبير ، والثانى شريف الميمنه ، والثالث شريف الميسرة . وهكذا ، وفى مكان العرض المتواضع رأيت بنفسى الأشراف ، والمكيين على هذا المنوال السابق شرحه . وفى هذا العرض كان يوجد الدراويش الزيديين . وحوالى مائتين من جنود الشريف العراة .

وصل موكب حسين باشا إلي وادي «أبطح» ومر بالمكان المسمى «المعلا» ، وعلى جانبي الطريق إصطف مئات الآلاف من الحجاج الذين وفدوا من شتى بقاع العالم الإسلامي ، وكانوا يرددون «حفظك الله يا وزير السلطان» أما النساء فقد كن يُطلقن زغاريدهن المدوية من مقام الحجاز . وما أن مر الموكب من منطقة المعلا هذه حتى بدت للجميع مدينة مكة المكرمة . وعلى كل حاج ، أو عابر لمنطقة المعلا هذه أن يقرأ سورة ﴿ أَلْهَأَكُمُ التَّكَاثُرُ ۖ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ۗ ﴾ (٢) . . . . ﴿ (\*) لأن آلاف من الصحابة الكرام مدفونين بها . ولما بدت مآذن ، ومنارات مكة المكرمة ، للعيان ، علت أصوات جند الإسلام جميعاً بالتلبية مرددين «لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك . . . » فالإكثار من التلبية مستحب .

وفي اليوم التاسع من ذى الحجة لسنة ١٠٨٢ هـ = ١٦٧١ م ، هذه أقام معالي الوزير حسين باشا معسكره في منطقة المعلا هذه .

### وادي المعلا:

هنا أخذ الجند يطلقون البنادق ، والمدافع ثلاث نوبات متتالية ، حتى دوت الوديان ، والسماء مرددة أصوات تلك الطلقات . ثم إنعقد الديوان (١) بعد ذلك . ثم أصدر الباشا أوامره وتبنيهاته التي بلغت إلى الجنود الشاميين ، وإلى جنده عن طريق الجاوشية ، بأن يكون الجميع في وضع الإستعداد وأفتى أرباب المذاهب الأربعة ؛

(\*) سورة التكاثر الآيات ١ ، ٢ .

(١) الديوان = Divan : أصلاً فارسيه ، انتقلت إلي اللغة العربية مع بدايات الفتح الإسلامي ، ويستخدم في معاني مختلفة؛ فيجتمع فيه أهل الحل والعقد لتسيير أمور الأمة سواء من النواحي السياسية ، أو العسكرية ، أو المالية ، أو الإدارية ، أو العدلية ، أو المالية .

في النواحي المالية ؛ بمعنى دفتر قيد الدخل والمنصرف في كل المصالح الإدارية ، أما ادارياً فيطلق على الهيئة أو الجماعة التي تدير الأمور بالدولة ؛ فهناك ديوان الرئاسة ، وديوان الوزارة ، وديوان الولاية ، وديوان الإمارة ، وديوان الحرب . . . . وقد عرفته كل الدول الإسلامية .  
أما الديوان في الأدب فله مجال آخر .

وكان لكل ولاية ديوان خاص بها ، يرأسه الوالي ، ويتكون من أركان الولاية للبت والنظر في شتى أمورها . وحتى كان للديوان ترجمانه للقيام بمهام الترجمة في الولايات التي يتطلب فيها الأمر ذلك . وكان ديوان الحرب يتعقد تحت رئاسة السلطان ، كما أن ديوان قافلة الحج كان يضم كل الشخصيات المعنية ، ويرأسه أمير قافلة الحج . «الترجم»

«ألا يُحرم الجند ، ويكفى أن يلبسوا ملابسهم مقلوبة وأن تجولهم ، وهم يحملون سلاحهم سنة». وهكذا ، بهذه الكيفية أدى الجنود طواف القدوم ، وسعوا بين الصفا ، والمروة مؤدين العمرة .

وفى اجتماع الديوان قال المجتمعون «ان الشريف ينوى العصيان ، ومن المناسب عزله ، وتعيين الشريف أحمد مكانه» . ولكن الباشا اعترض على هذا الرأي قائلاً :

- أيها الأغوات .. أيها البكوات .. أرجو الإنتباه ، إلى أنه لو حدث ذلك الآن .. فإن جميع خلق الله هنا سيداسون تحت سنابك خيول البدو .. فلا تقولوا مثل هذا الكلام». وما أن قال ذلك حتى تعجب المصريون والشوام .

وقام الباشا بالتوجه إلى مقام الشريف سعد ، وسلّمه رسالة السلطان ، وأنعم عليه بفراء من السمور . فما كان من الشريف ؛ ردّاً على هذا الإنعام ، وبناءً على طلب الباشا منه إلا أن يكون فى خدمة حجاج بيت الله الحرام ، وأن يتوجه إلى منى وأن قدم إلى الباشا القهوة العربية ، والشربات ، وماء الورد ، وأهداه مجوهرات ثمينة ، وفرسين كُحَيْلَيْن ، وقطاراً من الجمال الهجين ، وعلى صهوة كل منهم غلاماً حبشياً عاد الباشا إلى خيمته ، وعلى الفور توجه إلى منى ، وعرفات . وصعد إلى عرفات فى موكب عظيم ،

وإلى عرفات ، ومنى وحيث يُقيم الباشا معسكره ، يفد البدو والإعراب من كل صوب بأغنماهم ، ويتسابقون فى تقديم الهدايا إلى الباشا . وكل الأشراف يعيشون فى بزخ ، وترف ، وذوق ، وصفاء على عرفات ، فهم جميعاً من أهل الذوق ، وحب الحياة . فمرتباتهم تأتيهم بلا تعب ، أو كد ، ويعيشون على ما يأتيهم من هدايا ، من كافة أنحاء العالم الإسلامى ، والأشراف أناس مسرفون جداً ، فكل شريف منهم يُنفق مالا يقل عن أربعة ، أو خمسة آلاف دينار ، ذهبى ، منذ خروجه من مكة إلى وصوله إلى عرفات فقط ؛ ففى مكة يتم التعامل بالعملات الذهبية ، والفضية فقط .

وفى يوم التلبية ؛ يتوجه أولاً جند مصر إلى عرفات ملبين ، ثم يمر الجنود الشاميين بالمحمل الشريف <sup>(١)</sup> . وهما تمام وصول مواكب كل من مصر ، والشام ، ومكة إلى عرفات .

(١) المحمل الشريف : مصطلح إدارى يُستخدم للدلالة على الوسيلة التى كانت تستعمل لحمل ، ونقل الصرة =

وقد نزلت آية كريمة ، من قبل رب العزة ، والجلال ، بواسطة جبريل الأمين ، على الرسول الأكرم ؛ عن مناسك الحج ؛ التي علّمها ﷺ للخلفاء الراشدين ، والصحابه الأخير ، واخلافهم المحترمين (١) .

وطبقاً لما يذكره المفسرون ، فى كتب التفسير ؛ فإن هناك سبع وسبعون آية كريمة ، نزلت عن مكة المكرمة . وفيما يلى كيفية أداء فريضة الحج :

يصل الحاج إلى مكان الميقات حيث يغتسل ، ويُحرم ، ويجب أن يتخذ لنفسه مطوفاً أى مرشداً ، ثم يمر بمكانى المعلا ، والأبطح ملبياً .

والأبطح مكان به بساتين ، وقبور ، ومنه يدخل الحجاج إلى مكة . وهنالك ، داخل السوق توجد تبتين ، حادثين . ومن هنالك تبدو مآذن مكة . ويعبر الحاج من ذلك الموقع ، وكذلك سوق الصفا والمروة ، وهو يدعو متجهاً ، نحو الحرم الخارجى ، لباب السلام . وعليه أن يدخل من باب السلام مبسماً . وباب السلام هذا يُفتح صوب المشرق ، وعلى عتبه يوجد حجر نفطي أى يميل لونه بين الأسود ، والأخضر ، وعند الدخول من هذا الباب ، فعلى الداخل أن يطء هذه العتبه بقدمه اليسرى ،

- استشارة الكعبة الشريفة والهدايا المقدمة من الخليفة ، أو السلطان ، أو الوالى ، أو الحاكم إلى الحرمين الشريفين ، وأهل الحجاز عامة ، خلال العصور الإسلامية السابقة . وغالباً ما كانت هذه الأشياء تُحمل على الجمال ؛ ولو كان السلطان أو والى مصر يُشج بنفسه المحمل عند سفره من استانبول ، أو القاهرة ، أو الشام ، وكانت تتم مراسم تسيير المحمل مع الآى الصرة فى اواسط شهر شعبان من كل عام ، وسط احتفالات شعبية ورسمية بديعة .

وكان كل والى يتولى شعور المحمل ورعايته خلال مروره عبر ولايته ، ثم يتم استقباله من قبل أمير مكة وواليها وقوادها ، وأغوات الحرمين فى كل من المدينة المنورة ، ومكة المكرمة وسط حفاوة بالغة . وقد أفرد الحديث عنه فى المقدمة . « المترجم »

(٢) آيات مناسك الحج :

- ١- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَرَوُنَّ أَنَّ النَّاسَ يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ إِذْ يَنْصَرِفُونَ وَأَنَّ اللَّهَ يَكْفُلُهُمْ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غُيُوبَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ سورة البقرة آية ١٨٩ مدنية .
- ٢- ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا كَانَ بِهِ جُنْحٌ وَإِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ فِي الْحَدِيثِ الْقُرْآنَ وَإِذْ يُبَيِّنُ اللَّهُ لِي عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ مَا كُنْتَ تَعْلَمُ وَأَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ سورة البقرة آية ١٩٦ مدنية .
- ٣- ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ ﴾ سورة البقرة آية ١٩٦ مدنية .
- ٤- ﴿ لَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ ﴾ سورة البقرة آية ١٩٧ مدنية .
- ٥- ﴿ وَلَا تُسَاقُوا وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ سورة البقرة آية ١٩٧ مدنية .
- ٦- ﴿ وَأَذِّنْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴾ سورة التوبة ، آية ٣ مدنية .
- ٧- ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ﴾ سورة الحج ، آية ٢٧ مدنية .
- ٨- ﴿ وَاللَّهُ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ سورة آل عمران ، آية ٩٧ .

ويسير مسافة ثنتا عشرة خطوة ، فتبدو له كعبة الله ، وقد توسطت البيت الحرام ، وهي مزدانة في كسوتها السوداء . وباب السلام مكون من ثلاث ضلف متجاورة ، وما أن يدخل الفرد من هذا الباب حتى يُسمى باسم الله ، ثم يلبي سائراً ، داخل الحرم حوالى مائتى خطوة .

ومعنى التلبية : « عندما بنى سيدنا ابراهيم الكعبة أمره الله تعالى قائلاً : يا إبراهيم قل لعبادى ليأتوا إلى بيتى ، مَنْ يُؤمن بى إلى يوم القيامة . فبلغ سيدنا إبراهيم أمر الحج ، هذا ، إلى أبناء آدم ، فقالوا لبيك .. يا مَنْ دعاك الله ، وجعل الحج من نصيبك ، فيجب ألا تكف عن التلبية ، وألا تُسقطها من لسانك .. فأنت ضيف الله مدعو من قبل الرحمن :

( من كان له نصيب فى الكعبة فرحمة الله له فالحق يدعو مَنْ أَحَبَّهُ إلى بيته ) (١) .

\*\*\*